المبحث الثالث

نماذج التناص في شعر الصعاليك

تناص المعاني العامة :

يسمى تناص المعاني غير المباشر[1] وهو أخذ للمعنى دون لفظه ، وبما أن «العلاقة بين التناص والإبداع ليست متوقفة على وجود أو غياب عدد من التناصات ، وإنما تتوقف على طريقة المعالجة ومحاولة التحرر من أطر النصوص الأخرى للانسجام مع نسيج النص الجديد في إطار السياق الثقافي ومخزون الكاتب»[2] أصبح تجديد المعاني وصياغتها إبداعا .

وفي الحقيقة لم تقف الدراسات العربية أمام قضية الإبداع من دون معالجة ، ففكرة إبداع المعنى الأول لقيت اهتمام بعض النقاد القدامى ، فنجد أن إبداع المعنى الأول يحفظ لصاحبه مع تفضيل آخذ منه عليه لما أجاده الأخير ، وأبدع في إخراجه وصياغته . ومن ذلك قول القتال الكلابي[3] : [الكامل]

لَقَدْ وَلَدَتْ عَـوْفَ الطِّعَـانِ وَمَالِكًـا ... وَعَمْرًو العُلَـى وَالحَـارِثَ المُتَنَجِّبَـا

رِجَـالٌ بِأَيْـدِيهِمْ دِمَـاءٌ وَنَائِـلٌ ... يَكَـادُ عَلَـى الأَعْـدَاءِ أَنْ يَتَحَلَّبَـا

---

(١) يُنظَر : علم لغة النص النظرية والتطبيق : ٩١ .

(٢) المصدر نفسه : ٨٢ .

(٣) ديوان القتال الكلابي : ٣٤ . والنائل ما نِلْت من معرُوفٍ إنسان ، وكذلك النَّوَال . وأَنَالَهُ معروفهُ ونَوْلَه : أعطاه معروفَهُ . لسان العرب : (نول) ٦٨٣/١١ . وتَحَلَّبَ فُوهُ وتَحَلَّبَ النَّدَى أو الشَّيء إذا سالَ . العين : (حلب) ٣٤٥/١ .

يقول عنه الخالديان : «ومن هذا أخذ البحتري قوله[1] : [الطويل]

وَصَـاعِقَةٍ فِـي كَفِّـهِ يَنْكَفِـي بِهَـا عَلَى أَرْؤُسِ الأَبْطَالِ خَمْسُ سَـحَائِبِ

يَكَادُ النَّدَى مِنْهُ يَفِيْضُ عَلَـى العِـدَى مَعَ السَّيْفِ فِي ثِنْيْ قَنَـا وقواضـبِ

و(البحتري) وإن كان أخذ المعنى وأتى به في بيتين ، فقد جود وأحسن وفاق على وفاق الأول بما أبدع في المعنى وزاد ، وهذا هو الحذق في الشعر وأخذ معانيه ومن أخذ المعنى هذا الأخذ فهو أحق به ممن أبدعه»[2]

وقريب من هذا ما نبه عليه (ابن جني) في قول جعفر بن علبة[3] [الطويل]:

نُقَاسِـمُهُمْ أَسْـيَافَنَا شَـرَّ قِسْـمَةٍ فَفِيْنَا غَوَاشِـيْهَا وَفِـيْهِمْ صُـدُورُهَا

فيقول : «ويشهد لصحة هذا المعنى قول شاعرنا ، وينبغي أن يكون من هذا الموضع أخذه وامتثله : [4] [الوافر] .

فَكُنْـتَ السَّـيْفَ قَائِمُـهُ إِلَـيْهِمِ وَفِي الأَعْـدَاءِ حَـدُّكَ والغِـرَارُ»[5]

وقد وردت في شعر الصعاليك معان أخذوها أو أخذت منهم منها :

١- تمني طُروق خيال المحبوب :

استعمل هذا المعنى كثير من الشعراء أقدم من وقفت عليه من طبقة المخضرمين ، (خفاف بن ندبة) إذا يقول[6] : [الطويل]

---

(١) ديوان البحتري ، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه : حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف ، القاهرة ـ مصر ، ط/٣ ، ١٩٦٤م : ١/١٧٩ . وفيه : (أَرْؤُسِ الأقران) بدل (أَرْؤُسِ الأَبْطَال) . وخمس سحائب أصابع الممدوح . يُنظَر : الأشباه والنظائر : ١/٣١-٣٢ . وقواضب وقُضُبٌ جَمْعُ القَضِيب وهو السيف اللطيف الدقيق . يُنظَر : لسان العرب : (قضب) ١/٦٧٩ .

(٢) الأشباه والنظائر : ١/٣١-٣٢ .

(٣) ديوان الحماسة : ١٢ ، وديون اللصوص : ١/١٨٧ ، وفيه : (نُقَاسِمُهُم) .

(٤) ديوان المتنبي : ٣٩٩ .

(٥) التنبيه على شرح مشكل أبيات الحماسة : ٢٧ .

(٦) الأصمعيات : ٢١ .

ألا طَرَقَتْ أسماءُ في غَيرِ مَطرَقِ وأنّي إذا حَلّتْ بنَجرانَ نلتقي

و(حميد بن ثور الهلالي)[1] : [الطويل]

ألا طَرَقَتْ صَحْبي عُمَيْرَةُ إنّهَا لَنَا بالمَرَوْرَاةِ المُطِلِّ طَرُوْقُ

ويقول (الحطيئة) [2] : [الطويل]

أَلا طَرَقَتْ هِنْدُ الهُنُودِ وصُحْبَتِي بِجَورَانِ الجُنُودِ هُجُودِ

(وعمرو بن الأهتم) يقول[3] : [الطويل]

أَلا طَرَقَتْ أَسْماءُ وَهْيَ طَرُوقُ وبانَتْ على أنَّ الخَيالَ يَشُوقُ

وقد أخذ هذا المعنى عدد من الشعراء الصعاليك في العصر الأموي هم :

(طهمان بن عمرو الكلابي) في قوله [4] : [الطويل]

أَلا طَرَقَتْ لَيْلَى عَلَى نَأْيِ دَارِهَا وَلَيْلَى عَلَى شَحْطِ المَزَارِ طَرُوق

و(السمهري العكلي)[5] يقول : [لطويل]

أَلا طَرَقَتْ لَيْلَى وَسَاقِي رَهِيْنَةٌ بِأَشْهَبَ مَشْدُودٍ عَلَيَّ مَسَامِرُهْ

و(الخطيم المحرزي)[6] : [لطويل]

---

(١) ديوان حُميد بن ثور الهلالي وفيه بائية أبي دؤاد الأيادي، تحقيق : عبد العزيز الميمني، الدار القومية للطباعة ، الجمهورية العربية المتحدة ـ القاهرة د . ط ، ١٣٨٤ هـ-١٩٦٥م : ٣٤ . والمروراة بالفتح موضع فيه يوم مشهور . يُنظَر : معجم البلدان : ١١٢/٥ .

(٢) ديوانه : ٤٥ . قرية على باب همذان . معجم البلدان : ١٨٠/٢ .

(٣) المفضليات ، المفضل بن محمد بن يعلى الضبي (ت ١٦٨ هـ) شرح وتحقيق : أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، القاهرة ـ مصر ، ط/٩، ٢٠٠٦م : ١٢٥ .

(٤) شرح ديوان طهمان بن عمرو الكلابي : ١٠٤، وبهذا المعنى : ١١٠. والشحط : البعد . ينظر : العين : (شحط) ٣١٢/٢ .

(٥) شعراء أمويون : ١٤٣/١ ، ومثله : في ١٤٥/١ ، ١٤٦ .

(٦) المصدر نفسه : ٢٥٧/١ .

سَمَتْ لِيَ بِالبَيْنِ اليَمَانِيِّ صَبَابَةٌ وَأَلْتَ بَعِيْدٌ قَدْ نَأَيْتَ عَنِ المِصْرِ
أُتِيْحَ لِذِي بَثٌّ طَرِيْدِ تَعُوْدُهُ هُمُوْمٌ إِذا ما بَاتَ طَارِقُهَا يَسْرِي

و(المَرَّار الفقعسي) [1] : [الكامل]

طرق الخيال فهاج لي من مضجعي رجْعُ التحيةِ في الظلام المُهْلِسِ

وقد أخذه شعراء العصر الإسلامي (عبيد الله بن قيس الرقيات[2] والأخطل[3] وكثير عزة [4] وجرير[5] وذو الرمة[6] ويزيد بن الطثرية)[7] وغيرهم .

وقد وقع في شعر جعفر بن عُلبة الحارثي أحد الصعاليك هذا المعنى من غير ألفاظه وهو متعجب من زيارة محبوبته في سجنه ، فقال [8] : [لطويل]

عَجِبْتُ لِمَسْرَاهَا وَأَنَّى تَخَلَّصَتْ إِلَيَّ وَبَابُ السِّجْنِ دُونِيَ مُغْلَقُ
أَتَتْنَا فَحَيَّتْ ثُمَّ قَامَتْ فَوَدَّعَتْ فَلَمَّا تَوَلَّتْ كَادَتِ النَّفْسُ تَزْهَقُ

ومثله قول توبة بن الحُمَيِّر [9] : [الطويل]

عَفَا اللهُ عَنْهَا هَلْ أَبِيْتَنَّ لَيْلَةً مِنَ الدَّهْرِ لاَ يَسْرِي إِلَيَّ خَيَالُهَا

٢- الإخبار عن المحبوب بـ(نبئت أو يقولون)

لعل اسم (ليلى) صار علما للمعشوقة ، حتى تعاوره الشعراء ، وجاء

---

(١) شعراء أمويون : ٢/٤٦٠ . أراد بالمُهْلِس الضعيفَ مِنَ الظَّلام . لسان العرب : (هلس) ٦/٢٤٩ .

(٢) ديوانه : ١٦٣ .

(٣) ديوان الأخطل ، شرحه : مهدي محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط/٢، ١٩٩٤م : ٢٨٩ .

(٤) ديوانه : ١٦٤ .

(٥) ديوانه : ٥٠٠ .

(٦) ديوانه : ٣١ .

(٧) ذيل الأمالي والنوادر : ٣/٧٥ .

(٨) ديوان اللصوص : ١/١٨٨ .

(٩) ديوان توبة بن الحُمَيِّر : ٨٤ .

الاهتمام به ، وقد لاحظت أن أخبار ليلى ـ مريضة وغير مريضة ـ نقلت إلى الشعراء بما رووه في أشعارهم ، يقول (طهمان بن عمرو الكلابي)[1] : [الطويل]

وَثُبِّئْتُ لَيْلَى بِالعِرَاقِ مَرِيْضَةً فَمَاذَا الَّذِي تُغْنِي وَأَنْتَ صَدِيْقُ

سَقَى اللهُ مَرْضَى بِالعِراقِ فَإِنَّنِي عَلَى كُلِّ شَاكٍ بِالعِرَاقِ شَفِيْقُ

ويقول (السمهري العكلي)[2] : [الطويل]

وَثُبِّئْتُ لَيْلَى بِالغَرِيَّيْنِ سَلَّمَتْ عَلَيَّ وَدُونِي طِخْفَةٌ فَرِجَامُهَا

وقد أخذ هذا المعنى (مجنون ليلى)[3] : فقال : [الطويل]

يَقُولُونَ لَيْلَى بِالعِرَاقِ مَرِيْضَةٌ فَمَا لَكَ لاَ تَضْنَى وَأَنْتَ صَدِيْقُ

سَقَى اللهُ مَرْضَى بِالعِراقِ فَإِنَّنِي عَلَى كُلِّ مَرْضَى بِالعِرَاقِ شَفِيْقُ

ويقول[4] : [الطويل]

يَقُولُونَ لَيْلَى بِالعِرَاقِ مَرِيْضَةٌ فَأَقْبَلْتُ مِنْ مِصْرَ إِلَيْهَا أَعُوْدُهَا

و(مجنون ليلى) في البيت الأول يتناص مع (طهمان) إلا في يسير منه ، فبدل (فماذا الذي تغني) جعلها (فما لك لا تضنى) وجاء بالبيت الذي يليه نصًا عن شعر طهمان مع اختلاف يسير فبدل (كل شاك) عند (طهمان) جعلها (كل مرضى) .

---

(١) شرح ديوان طهمان بن عمرو الكلابي : ١٠٢ .

(٢) ديوان اللصوص : ٢٨٨/١ ، شعراء أمويون : ١٤٧/١ ، وفيه (طخمة) . والغريّان : خيالان من أخيلة حمى قيد يطؤهما طريق الحاجّ ، والخيال : ما نصب في أرض ليعلم أنها حمى فلا تقرب . ينظَر : معجم البلدان : ١٩٧/٤ . وطخفة جبل أحمر طويل حذاءه يتار ومنهل ، هو موضع بعد النباج في طريق البصرة إلى مكة ، ينظَر : معجم البلدان : ٢٣/٤ .

(٣) ديوانه : ٦٦ .

(٤) ديوانه : ٦٧ .

٣- البكاء على المنزل (الطلل)

يقول (امرؤ القيس)[١] : [الطويل]

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيْبٍ وَمَنْزِلِ بِسَقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

يقول (السمهري العكلي)[٢] : [الطويل]

بَكَيْتَ وَمَا يُبْكِيْكَ مِن رَسْمِ مَنْزِلٍ عَلَى حَفَرِ السَّيْدَانِ أَصْبَحَ خَالِيَا

٤- رؤية البرق

يقول (امرؤ القيس)[٣] : [الطويل]

أَصَاحِ تَرَى بَرْقًا أُرِيكَ وَمِيضَهُ كَلَمْعِ الْيَدَيْنِ فِي حَبِيٍّ مُكَلَّلِ

يقول (السمهري العكلي)[٤] : [الطويل]

أَعِنِّي عَلَى بَرْقٍ أُرِيكَ وَمِيضَهُ يَشُوقُ إِذا اسْتَوْضَحْتُ بَرْقًا عَنَانِيَا

٥- الندم على قتال الأقارب

نسب الخالديان هذا المعنى إلى (المهلهل بن ربيعة) من قوله [٥] : [الوافر]

بِكُرْهٍ قُلْوِبَنَا يَا آلَ بَكْرٍ تُغَادِيْكُمْ بِمُرْهَفَةِ النِّصَالِ

لَهَا لَوْنٌ مِنَ الهَامَاتِ جَوْنٌ وَإِنْ كَانَتْ تُغَادِي بِالصِّقَالِ

وَنَبْكِي حِيْنَ نَذْكُرُكُمْ عَلَيْكُمْ وَنَقْتُلُكُمْ كَأَنَّا لاَ نُبَالِي

قالا : « أبيات المهلهل هذه هي الأصل في هذا المعنى »[٦].

---

(١) ديوانه : ١١٠ .

(٢) شعراء أمويون : ١٤٩/١ . وحفر السيدان موضع وقيل جبل وقل ماء . يُنظَر : معجم البلدان : ٢٩٤/٣

(٣) ديوانه : ١٢١ .

(٤) شعراء أمويون : ١٥٠/١ .

(٥) ديوان المهلهل ، تحقيق : أنطوان محسن القوّال ، دار الجيل ، بيروت ، ط/١، ١٩٩٥م : ٧٥ . الجَوْن الأسود المُشرَب حُمرَة ، لسان العرب : (جون) ١٠١/١٣ .

(٦) الأشباه والنظائر : ٤/١ .

وذكرا من أخذ هذا المعنى من الشعراء ، واستشهدوا بأشعارهم وهم الحُصَيْنُ ابن الحُمَام المرّي ، ومالك بن مطفوق السعدي ، وحرب بن مسعر ، ولم يسميا بعضهم واكتفيا بنقل الشعر[1] ، وجاء هذا المعنى عند القتال الكلابي[2] : [الطويل]

نَشَدْتُ زِيَادًا وَالمقامةُ بَيْنَنَا ... وَذَكَّرْتُهُ أَرْحَامَ سِعْرٍ وَهَيْثَمِ
وَلَمَّا دَعَانِي لَمْ أُجِبْهُ لأَنَّنِي ... خَشِيْتُ عَلَيْهِ وَقْعَةً مِنْ مُصَمِّمِ
فَلَمَّا أَعَاد الصَّوتَ لَمْ أَكُ عَاجِزًا ... وَلاَ وَكلاً فِي كُلِّ دَهْيَاءَ صَيْلَمِ
فَلَمَّا رَأَيْتُ أَنَّهُ غيرَ منتهٍ ... أَمَلْتُ لَهُ كَفِّي بِلَدْنٍ مُقَوَّمِ
وَلَمَّا رَأَيْتُ أَنَّنِي قَدْ قَتَلْتُهُ ... نَدِمْتُ عَلَيْهِ أَيَّ سَاعةِ مَنْدَمِ

تناص المعاني الخاصة :

هذا النوع من التناص يكون بإعادة الشاعر فكرته بأكثر من مناسبة وبأكثر من صورة ، مع بقاء الإطار العام للفكرة بمكوناتها الأساسية . وقد ورد في شعر الصعاليك الأمويين نماذج من هذا النوع ، منها :

١ - مبارزة الأسد(*) عند (جحدر العكلي)[3] يقول : [الرجز]

لَيْثٌ وَلَيْثٌ فِي مَجَالٍ ضَنْكِ
كِلاَهُمَا ذُو حَنَقٍ وَمَحْكِ
وَبَطْشَةٍ فِي صَوْلَةٍ وَفَتْكِ

---

(١) الأشباه والنظائر ، للخالديين : ١/٤-٥ .

(٢) ديوان القتال الكلابي : ٨٩ . سبق بيان معنى المقامة وسعر وهيثم وهنا : الصَّيْلَمُ : الأمرُ المُفْني المُستأصِلُ ، ووَقْعَةٌ صَيْلَمِيَّةٌ من ذلك . العين : (صلم) ٢/٤١٠. واللدن : اللَّيِّن من كُلِّ شيءٍ ، ولَدُنَ لُدونةً ، ورُمْحٌ لَدْنٌ العين : (لدن) ٤/٨٠ .

(*) سبق أن استعملت هذه الواقعة في تكرار القصص والمواقف في الباب الأول ، وهنا الكلام عن التناص الخاص في هذا المعنى .

(٣) شعراء أمويون : ١/١٧٨-١٧٩ .

إنْ يَكْشِـــفِ اللهُ قِنَـــاعَ الشَّـــكِّ
بِظَفْـــرٍ مِـــنْ حَـــاجَتِي وَدَرْكِ
فَهْـــوَ أَحَـــقُّ مَنْـــزِلٍ بِتَـــرْكِ
الـــذِّئْبُ يَعْـــوِي وَالغُـــرَابُ يَبْكِـــي

وقد نقل (جحدر) هذه الحادثة وأخذها ليضمنها قصيدة أخرى يحكي بها شجاعته وإقدامه كان مطلعها [1] : [الكامل]

يَا جُمْلُ إِنَّكِ لَـوْ شَـهِدْتِ كَرِيْهَتِـي ... فِي يَـوْمِ هَـوْلٍ مُسْـدِفٍ وَعَجَـاجِ
وَتَقَـدُّمِي لِلَّيْـثِ أَرْسَـفُ مُوْثَقًـا ... كَيْمَـا أُكَـابِرَهُ عَلَـى الأَحْـرَاجِ

ومنها :

أَقْبَلْتُ أَرْسَفُ فِـي الحَدِيـدِ مُكَـبَّلاً ... لِلمَوْتِ نَفْسِـي عِنْـدَ ذَاكَ أُنَـاجِي

ومنها :

قِرْنَانِ مُحْتَضِـرَانِ قَـدْ مَحَضَـتْهُمَا ... أُمُّ المَنِيَّـــةِ غَيْـــرُ ذَاتِ نِتَـــاجِ

ومنها [2] :

نَازَلْتُـــهُ إِنَّ النُّـــزَالَ سَـــجِيَّتِي ... إِنِّـي لِمِـنْ سَـلَفِي عَلَـى مِنْهَـاجِ
وَعَلِمْـتُ أَنِّـي لَـوْ أَبَيْـتُ نِزَالَـهُ ... إِنِّـي مِـنَ الخَجَّـاجِ لَسْـتُ بِنَـاجِ
فَفَلَقْـتُ هَامَتَـهُ فَخَـرَّ كَأَنَّـهُ ... أُطُـمٌ هَـوَى مُتَقَـوِّضُ الأَبْـرَاجِ
ثُمَّ انْثَنَيْـتُ وَفِـي قَمِيْصِـي شَـاهِدٌ ... مِمَّا جَـرَى مِـنْ شَـاخِبِ الأَوْدَاجِ

ثم إن (جَحدرًا) كان يستذكر ما وقع له مع الأسد وبعد قتله إياه كان من النجاة في الدنيا . فيقول [3] : [البسيط]

---

(١) شعراء أمويون : ١/١٧٠-١٧١ .
(٢) المصدر نفسه : ١/١٧١-١٧٢ .
(٣) المصدر نفسه : ١/١٧٢ ، وفيه : (نحت بي) .

إِنَّ اللَّيَالِي نَجَتْ بِي فَهْيَ مُحْسِنَةٌ لاَ شَكَّ فِيهَا مِنَ الدَّيْمَاسِ وَالأَسَدِ

٢- **الشك في النجاة** عند (السمهري العكلي)[١] : [الطويل]

فَإِنْ أَنْجُ يَا لَيْلَى فَرُبَّ فَتًى نَجَا وَإِنْ تَكُنِ الأُخرَى فَشَيْءٌ أُحَاذِرُهْ

هذا البيت قاله في قصيدته التي أنشأها في السجن بعد أن طرق خيال ليلى وهو رهين الساق ، وهذا الشك في النجاة متأتٍ من أنَّه بعد هروبه من سجنه في المدينة وقد قطع أرضًا بعيدة ثم لقي راعيًا من لهب بن أرزد شنوءة ، فسأله عن العيافة فيما رآه فأجابه اللهبي أن من فعل ما فعل ثم رأى الغراب على البانة يطرح ريشه سيصلب[٢] .

فظهور أمارات صدق اللهبي في عيافته جعلت (السمهري) يشك في نجاته وقد قبض عليه . فيأخذ هذا الشك يضمنه شعره مرة أخرى بألفاظ قريبة من الأولى فيقول[٣] : [الطويل]

فَإِنْ أَنْجُ مِنْها أَنْجُ مِنْ ذِي عَظِيْمَةٍ وَإِنْ تَكُنِ الأُخْرَى فَتِلْكَ سَبِيْلُ

والسياق في القصيدتين يحتم أنَّه قال البيت الأول أول مرة ، ثم أخذه في القصيدة الأخرى التي جاء سياقها أقل شكًا بهلاكه ، يقول فيها[٤] : [الطويل]

فَمَا البَيْنُ يَا سَلْمَى بِأَنْ تَشْحَطَ النَّوى وَلَكِنَّ بَيْنًا مَا يُرِيدُ عَقِيْلُ

٣- **طرفا السيف** :

ورد هذا المعنى عند (جعفر بن عُلبة) ، بالتناص في موضعين ، الأول :[٥] [الطويل]

---

(١) شعراء أمويون : ١٤٣/١ .

(٢) يُنظَر : الأغاني : ١٦٧/٢١-١٦٨ .

(٣) شعراء أمويون : ١٤٥/١ .

(٤) المصدر نفسه : ١٤٥/١ .

(٥) ديوان اللصوص : ١٨٧/١ ، الغماء الأمر الشديد ، الحرة الكريمة ، الغمرات الشدائد ، يُنظَر : شرح حماسة أبي تمام للأعلم : ٢٠٩/١ . والبيت الأول دخله الخرم ، وهو حذف الحرف الأول من الوتد المجموع فـ (فعولن) تصير عولن . .

لاَ يَكْشِفُ الغَمَّاءَ إلا ابنُ حُرَّةٍ يَرَى غَمَرَاتِ المَوتِ ثُمَّ يَزُوْرُهَا
نُقَاسِمُهُمْ أَسْيَافَنا شَرَّ قِسْمَةٍ فَفِيْنَا غَوَاشِيْهَا وَفِيْهِمْ صُدُوْرُهَا

والآخر : قوله : [1] [الطويل]

لَهُمْ صَدْرُ سَيْفِي يَوْمَ بَطْحَاءِ سَحْبَلٍ وَلِي مِنْهُ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ الأَنَامِلُ

تناص المعاني المشتركة :

لا شك أن نمط الحياة المشترك بين الشعراء الصعاليك في عصر الدولة الأموية يلقي بأثره على المعاني ، فيقع التناص فيها بين شاعر وآخر منهم ، قد يكون أحدهم أخذ من الآخر ، وإن لم تنص المصادر على تحديد المعنى السابق ، وصاحبه غير أنَّها تبقى معاني متاحة لزمرة الصعاليك ؛ لتشابه أنماط الحياة التي يعيشونها .

١- التحريض على الغزو (السرقة)

يقول (جحدر العكلي)[2] : [الطويل]

وَإن امْرَأً يَغْدُو وَحَجْرٌ وَرَاءَهُ وَجَوٌّ وَلا يَغْزُوهُمَا لَضَعِيْفُ
إِذَا حُلَّةٌ أَبْلَيْتُهَا ابْتَعْتُ حُلَّةً كَسَانِي بِهَا طَوْعُ القِيَادِ عَلِيْفُ

يقول (شظاظ الضبي)[3] : [الطويل]

---

(١) ديوان اللصوص : ١٩٣/١ ، ويُنظَر : شرح حماسة أبي تمام للأعلم : ٢٦٠/١ .

(٢) أشعار اللصوص وأخبارهم : ١٩٠/١ وفي شعراء أمويون : ١٧٨/١ . (نسائية طوع القياد) وفي ديوان اللصوص : ١٦٤/١. (كسانيها طوع القياد) . وجو : اسم لناحية اليمامة . معجم البلدان : ١٩٠/٢ . والقِياد : الحبل الذي تقود به دابة أو شيئاً ، ويقال : إنه لسلس القِياد . العين : (قود) ٤٤١/٣ .

(٣) أشعار اللصوص وأخبارهم : ٢٧/١ . البيت الأول دخله الخرم . كان العِرقان عِرقا البصرة محميين ، وهما عرق ناهق وعرق ثادق ، لإبل السلطان وللهوافي أي الضوالّ ، وعرق ناهق يحمى لأهل البصرة خاصة ، معجم البلدان : ١٠٧/٤ . والهجمة : القطعة الضَّخمة من الإبل ، وقيل : هي ما بين الثلاثين والمائة . لسان العرب : --

مَـنْ مُبْلِـغٌ فِتْيَـانَ قَـوْمِي رِسَـالَةً ... فَلاَ تَهْلَكُوا فَقْرًا عَلَـى عِـرْقٍ نَـاهِقِ

فَـإِنَّ بِـهِ صَـيْدًا عَزِيْـزًا وَهَجْمَـةً ... طِـوَالَ الهَـوَادِي بَانَـاتِ المَرَافِـقِ

نَجَاتِـبَ ضَـبَّاطٍ يَكُـوْنُ بُغَـاؤُهُ ... دُعَاءً وَقَدْ جَاوَزْنَ عَـرْضَ الشَّـقَائِقِ

في النصين تحريض واضح على السرقة وإن اختلفت قوته بينهما ، ففي النص الأول القوة والشدة هي أساس لهذه الحض والتحفيز ، فهو ينسب مَن لا يسرق إلى الضعف ، ثم هو يخرج ما يفعله من سرقة بألفاظ مباحة يتقبلها المتلقي وهي البيع ، فهو يبلي حلله لا يبالي ؛ لأن طوع القياد سيكسيه بدلها .

أما النص الآخر ففيه تحفيز من نوع آخر ، وهو أن السرقة خير من الموت فقرًا ، ثم ما يدعو إلى السرقة هو أن الذي سيُسْرَق هو صيدٌ عزيز ، وهجمة طوال الهوادي بآنات المرافق ، وهذه صفات تدل على ثمنها وارتفاع أصواتها دليل صحتها .

٢- ضوء النار من داخل السجن

إن ضوء النار يبعث الاطمئنان إلى النفس التائهة الغريبة ؛ لذا جاءت مع ألفاظ الأنس ، قال تعالى ﴿ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا ﴾ (القصص:٢٩) ، وهذا الأنس يحتاج إليه السجين كحاجة التائه والغريب ، ولكن قد يجمع مع هذا وذاك التصعلك ، فيتولد تناص معاني قد تكون خاصة بهم . وقد ورد هذا المعنى في قول (جحدر العكلي)[1] : [البسيط]

=-(هجم) ٦٠٢/١٢ . والهادي من كلّ شيءٍ : أوّلُهُ . أقبلتْ هَوادي الخَيْل ، أي : بَدَت أعناقُها . وقد هَدَتْ تَهْدي ، لأنّها أوّلُ الشّيءِ من أجسادِها . العين : (هدى) ٢٩٩/٤ . والضباط : من تضبَّطَ الضأنُ أي أسرَع في المرعى وقَوِيَ . وتضبَّطَتِ الضأنُ : نالت شيئًا من الكَلإِ . لسان العرب : (ضبط) ٣٤٠/٧ . والشقائق موضع . معجم البلدان : ٣٥٤/٣ .

(١) شعراء أمويون : ١٧٤/١ .

يَا صَاحِبَيَّ وَبَابُ السِّجْنِ دُونَكُمَا هَلْ تُؤْنِسَانِ بِصَحْرَاءِ اللِّوَى نَارَا
لِوَى الدَّخُولِ إِلَى الجَرْعَاءِ مَوْقِدُهَا وَالنَّارُ تُبْدِي لِذِي الحَاجَاتِ أَذْكَارَا

كما يقول في موضع آخر : [1] [الوافر]

نَظَرْتُ وَنَاقَتَايَ عَلَى تَعَادٍ مُطَاوِعَتَا الأَزِمَّةِ تَرْحَلاَنِ
إِلَى نَارَيْهِمَا وَهُمَا قَرِيبٌ تَشُوقَانِ المُحِبَّ وَتُوقِدَانِ
رَأَيْتُ بِذِي المَجَازَةِ ضَوْءَ نَارٍ تَلاَلأُ وَهْيَ نَازِحَةُ المَكَانِ

وهذه الرئية وإن لم يصرح بالأنس بها إلا أن مجرد النظر إليه ورؤيتها هو من دواعي الأنس بها .

ومثل هذا يقول المرّار الفقعسي[2] : [الطويل]

أَ نَارٌ بَدَتْ مِنْ كُوَّةِ السِّجْنِ ضَوْؤُهَا عَشِيَّةَ حَلَّ الحَيُّ بِالجَرْعِ العُفْرِ
عَشِيَّةَ حَلَّ الحَيُّ أَرْضًا خَصِيبَةً يَطِيبُ بِهَا مَسُّ الجَنَائِبِ وَالقَطْرِ
فَيَا وَالِيَي سِجْنِ اليَمَامَةِ أَطْلِقَا أَسِيرَكُمَا يَنْظُرْ إِلَى البَرْقِ مَا يَفْرِي

وقد أظهرت الصورة عند المرار أن رؤية النار من داخل السجن هو نوع أمل في الحرية يبث في نفس المسجون .

---

(١) شعراء أمويون : ١/١٨٣-١٨٤ . وذو المجازة : منزلٌ من منازل طريق مكة بين ماويّة وبُنْسُوعَة على طريق البصرة . لسان العرب : (جوز) ٥/٣٣٠ .

(٢) شعراء أمويون : ٢/٤٥٣ . الجَرْعُ : جمع جرعة ، وهي الرَّملة التي لا تُنبت شيئًا : موضع . معجم البلدان : ٢/١٢٧. والجَنُوبُ : ريحٌ تجيء عن يمين القِبلة ، والجميع : الجَنائبُ . العين : (جنب) ١/٢٦٣ . والفَرْيُ : الشَّقُّ وفَرَيْت الشيء بالسَّيف وبالشَّفْرة : قطعته وشَقَقْته . وفريته : أصلَحته . والفَرِيّة : الجَلَبة . ويقال : للرَّجُل الشُّجاع : ما يَفْرِي أحَدٌ فَرِيَّهُ . العين (فري) ٣/٣١٩ .

٣- رثاء النفس[١] :

نمط من الرثاء يصدر من ذات الشاعر إلى أهله يكون صادق الإحساس به في العادة . وقد رثى أربعة شعراء من الصعاليك أنفسهم تقاربت فيه الصور ، من تمني الرجوع إلى الموطن ، والحنين إليه ، وذكر ما يهيج فيه الشوق إلى الأهل والموطن ، ووصية الأصحاب وذكر من يبكي عليه ، وهؤلاء الشعراء هم مالك بن الريب ، والمَرَّار الفقعسي ، وجحدر العكلي ، وجعفر بن علبة الحارثي .

يقول مالك بن الريب [٢] : [الطويل] من قصيدته المشهورة .

وَلَمَّا تَرَاءَتْ عِنْدَ مَرْوٍ مَنِيَّتِي ... وَحَلَّ بِهَا جِسْمِي وَحَانَتْ وَفَاتِيَا

أَقُولُ لِأَصْحَابِي ارْفَعُونِي فَإِنَّهُ ... يَقَرُّ بِعَيْنِي أَنْ سُهَيْلٌ بَدَا لِيَا

فَيَا صَاحِبَيَّ رَحْلِي دَنَا المَوْتُ فَانْزِلَا ... بِرَابِيَةٍ إِنِّي مُقِيمٌ لَيَالِيَا

ويقول فيها[٣] :

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ بَكَتْ أُمُّ مَالِكٍ ... كَمَا كُنْتُ لَوْ عَالَوا نَعِيَّكَ بَاكِيَا

إِذَا مِتُّ فَاعْتَادِي القُبُورَ وَسَلِّمِي ... عَلَى الرَّمْسِ أَسْقِيتِ السَّحَابَ الغَوَادِيَا

---

(١) بعد أن استقصيت هذه الظاهرة في شعر الصعاليك الأمويين وثبت ما وقفت عليه عندهم ، وقع بين يدي كتاب : الشعراء الذين رثوا أنفسهم قبل الموت ، جمع وتنسيق : عبد المعين الملوحي ، دار الحضارة الجديدة ، بيروت ـ لبنان ط/١ ، ١٩٩٢م . وقد ضمنه شاعرين من الشعراء الصعاليك الأمويين ،هما مالك بن الريب وجعفر بن علبة الحارثي : ٧٦-٨٢ ، ٨٤-١٠٠ .

(٢) شعراء أمويون : ٤٤/١ . والخَلَل في الأمر والحرب كالوهْن والفساد . وأمر مُخْتَلٌّ : وَاهِنٌ . وأَخَلَّ بالشيءِ : أَجْحَفَ . لسان العرب : (خلل) ٢١٥/١١ .

(٣) شعراء أمويون : ٤٧/١ . وعَالَوْا نَعِيَّهُ : أَظْهَروهُ؛ عن ابنِ الأَعرابي ، قال : ولا يقال أَعْلَوْه ولا عَلَّوه . لسان العرب : (علا) ٩١/١٥ .

وهذه الصورة (عند مالك بن الريب) صورة من أيس من الحياة ، فهو ينتقل من التمني في مطلع القصيدة (ألا ليت شعري . . .) إلى ذكر فضائل نفسه ثم يوصي صاحبيه ويكثر من الوصية ، ثم هو على يقين من بكاء أهله عليه ، فجعل من ذلك خاتمة لقصيدته .

أما (المرّار الفقعسي) فيظهر أنّه كان هاربًا طريدًا في (دير توما) وقد يكون سجينًا فليس للقصيدة قصة تروى غير أن سياقها يظهر أنّه كان غريبًا مطاردًا ، فهو يبدأ بقصيدته فيقول[1] : [الوافر]

لَعَمْرُكَ إِنَّنِي لأُحِبُّ نَجْدًا ... وَمَا أَرَى إِلَى نَجْدٍ سَبِيْلا
وَكُنْتُ حَسِبْتُ طِيْبَ تُرَابِ نَجْدٍ ... وَعَيْشًا بِالطَّرِيْفَةِ لَنْ يَزُوْلا

ثم هو يقاسي طول الليل[2] : فيقول :

تَصِيْحُ إِذا هَجَعْتَ بِدَيْرِ تومَا ... حَمَامَاتٌ يَزِدْنَ اللَّيْلَ طُوْلا
إِذَا مَا صِحْنَ قُلْتُ أُحِسُّ صُبْحًا ... وَقَدْ غَادرْنَ لِي لَيْلا ثَقِيلا

ويبدو أنّه قد استسلم لليأس حتى بلغ منه الغاية فرأى أنّه هالك[3]: فقال :

فَلَوْ كَانَتْ تَجُوْبُ الأَرْضَ عُرْضًا ... وَلَكِنْ جَوْبَهُنَّ الأَرْضَ طُوْلا
لَقَعْنَ جُيُوبَهُنَّ عَلَيَّ حَيًّا ... وَأَعْدَدْنَ المَرَاثِيَ وَالعَوِيْلا

ثم لا ينسى حينها صاحبيه بالوصية :

خَلِيْلَيَّ اقْعُدَا لِي عَلَّلانِي ... وَصُدَّا لِي وَسَادِي أَنْ يَمِيْلا

---

(١) شعراء أمويون : ٤٧٤/٢ . الطريفة قفر يستعذب لها الماء ليومين أو ثلاثة بأسفل أرمام لجذيمة ، وقيل : لبني خالد بن نضلة بن جحوان ابن فقعس . معجم البلدان : ٣٤/٤ .

(٢) المصدر نفسه : ٤٧٥/٢ ، ديوان اللصوص : ٢٥١/٢. ودير توما موضع في الجزيرة ، لم يحدده . معجم البلدان : ٥٩/٢ ، ٥٠٢ .

(٣) شعراء أمويون : ٤٧٦/٢ ، ديوان اللصوص : ٢٥١/٢ .

وبهذا المعاني جاء (جحدر العكلي) ؛ غير أنَّه استفتح بذكر الهموم فقال[1]:

[الوافر]

تَـأَوَّبَنِي فَبِـتُّ لَهَـا كَئِيْبَـا ... هُمُـوْمٌ لا تُفَـارِقُنِي حَـوَانِ

هِـيَ العُـوَّادُ لاَعُـوَّادُ قَـوْمِي ... أَطَلْـنَ عِيَـادَتِي فِـي ذَا المَكَـانِ

ثم جاء بالتمني والحنين إلى الربوع ، فقال [2] :

أَ لَـيْسَ اللهُ يَعْلَـمُ أَنَّ قَلْبِـي ... يُحِبُّـكَ أَيُّهَـا البَـرْقُ اليَمَـانِي

وَأَهْـوَى أَنْ أُعِيْـدَ إِلَيْـكَ طَرْفِـي ... عَلَـى عُـدَوَاءَ مِـن شُـغْلٍ وشَـانِ

ثم ذكر ما يزيد همومه ويشوقه وهو قوله[3] :

أَلاَ قَـدْ هَـاجَنِي فَـازْدَدْتُ شَـوْقًا ... بُكَـاءُ حَمَـامَتَيْنِ تَجَاوَبَـانِ

وَهَيَّجَنِـي بِلَحْـنٍ أَعْجَمِـيٍّ ... عَلَى غُصْـنَيْنِ مِـنْ غَـرَبٍ وَبَـانِ

ثم يُقْدِم على وصية الأصحاب[4] :

فَيَا أَخَوَيَّ مِـنْ جَشْـمِ بْـنِ سَـعْدٍ ... أَقِـلاَّ اللَّـوْمَ إِنْ لَـمْ تَنْفَعَـانِي

إِذَا جَاوَزْتُمَـا سَـعَفَاتِ حَجْـرٍ ... وَأَوْدِيَـةَ اليَمَامَـةِ فَالْعِيَـانِي

إِلَـى قَـوْمٍ إِذَا سَـمِعُوا بِنَعْيِـي ... بَكَـى شُـبَّانُهُمْ وَبَكَـى الغَـوَانِي

---

(١) شعراء أمويون : ١/١٨٢-١٨٣ . وفي خزانة الأدب : «تأوبني فَبت لَهَا كبيعا أي : أَتَانِي لَيْلاً هموم من الأوب وهو الرجوع والكبيع بفَتح الكَاف وكسر المُوَحدَة قَالَ السكري : كَبيع وكابع بِمَعْنى أي : مشدود» ١١/٢٠٩-٢١٠ .

(٢) المصدر نفسه : ١/١٨٣ ، العُدَواء : عادَةُ الشُّغْل ، وقيل : عُدَواءُ الشُّغْلِ مَوانِعُه ، لسان العرب : (عدا) ، ١٥/٣٨ ، تاج العروس : (عدو) ، ٣٩/٨ .

(٣) شعراء أمويون : ١/١٨٤ .

(٤) شعراء أمويون : ١/١٨٥-١٨٦ . وحَجر : هي مدينة اليمامة وأم قراها ، وبها ينزل الوالي . معجم البلدان : ٢/٢٢١ . والغواني الشَّوابُّ اللَّواتي يُعجِبنَ الرجالَ ويُعجِبهُنَّ الشُّبَّانَ والغَانِيَة الجارِيَةُ الحَسناءُ ، ذات زوج كانَت أو غيرَ ذات زوج ، سميَّت غانِيَة لأنها غَنِيت بحُسنِها عن الزِينَة . لسان العرب : (غنى) ١٥/١٣٨ .

ويقول[1] :

فَإنْ أَهْلِكْ فَرُبَّ فَتًى سَيَبْكِي عَلَيَّ مُخَضَّبٍ رَخْصِ البَنَانِ

أما (جعفر بن علبة الحارثي) ، فقد كان سجينًا [2] ومع هذا هو لم يقدم في قصيدته ما يشغل المسجون ، بل إنه كان كأنه محارب في يوم سَحْبَل ، وهو يوم أكثر من ذكره . فقد بدأ قصيدته[3] : [الطويل]

أَلاَ لاَ أُبَالِي بَعْدَ يَوْمِي بِسَحْبَلِ إِذَا لَمْ أُعَذَّبْ أَنْ يَجِيءَ حِمَامِيَا

تَرَكْتُ بِأَعْلَى سَحْبَلٍ وَمَضِيقِهِ مُرَاقَ دَمٍ لا يَبْرَحُ الدَّهْرَ ثَاوِيَا

شَفَيْتُ بِهِمْ غَيْظِي وَجُرِّبَ مَوْطِنِي وَكَانَ سَنَاءً آخِرَ الدَّهْرِ بَاقِيَا

بعد أن ذكر بأسه في الحرب ، وكيف قد شفى غليله من عدوه بدأ يحن إلى وطنه ، وقد جاء هذا الحنين متأخرًا لعلة المقام الذي كان فيه الشاعر . فيقول[4] :

أَحَقًّا عِبَادَ اللهِ أَنْ لَسْتُ رَائِيًا صَحَارِيَّ نَجْدٍ وَالرِّيَاحَ الذَّوَارِيَا

وَلاَ زَائِرًا شُمَّ العَرَانِيْنِ تَنْتَمِي إِلَى عَامِرٍ يَحْلُلْنَ رَمْلاً مُعَالِيَا

---

(١) شعراء أمويون : ١٨٦/١ .

(٢) يذكر الدكتور عبد المعين الملوحي أن جعفر بن علبة الحارثي كان سجينًا عندما نظم هذه القصيدة يُنظَر : الشعراء الذين رثوا أنفسهم قبل موتهم : ٩٨ . ولم تتضمن هذه القصيدة ما ، يدل على سجنه فقد جردها الشاعر من الأحاسيس التي تنتاب المسجونين ، ومن التصريح باسم السجن أو ذكر الأصفاد والحراس أو طلب النجدة ومحاولة الهرب وغيرها من قرائن تدلل على السجن .

(٣) ديوان اللصوص : ١٩٧/١ . وسَحبل : موضع في ديار بني الحارث بن كعب . معجم البلدان : ١٩٤/٣ .

(٤) ديوان اللصوص : ١٩٩/١ . وشُمُّ جَمعُ أَشَمّ ، والعَرانِينُ : الأُنوف ، وهو كِنَايَةٌ عن الرِّفعَةِ والعُلُوِّ وَشَرَفِ الأَنفس . لسان العرب : (شمم) ٣٢٧/١٢ .

ثم يذكر من يُخبر بخبره فيقول[1] :

إِذَا مَـا أَتَيْـتَ الحَارِثِيَـاتِ فَـانْعِنِي لَهُـنَّ وَخَبِّـرهُنَّ أَنْ لا تَلاَقِيَـا
وَقَوِّدْ قَلُوصِي فِـي الرِّكَـابِ فَإِنَّهَـا سَتُضْحِكُ مَسْرُورًا وَتُبْكِـي بَوَاكِيَـا
أَوَصَّـيْكُمُ إِنْ مِـتُّ يَوْمًـا بِغَـارِمٍ لِيَفْنَـيَ شَـيْئًا أَوْ يَكُـونَ مَكَانِيَـا

هؤلاء أربعة من الصعاليك تتناص معانيهم في رثاء النفس وهم أحياء وقد بلغ حال كل واحد منهم مبلغه في أنَّه هالك لا محالة ، فالموت بعد أن لُدغ (مالك بن الريب) وانقطاع المَرَّار في الغربة والتيه ، وسجن الحجاج أبلغ جحدرًا الموت ظنًا منه ، ويوم سحبل وكثرة الدماء فيه جعل (جعفر بن علبة) مشاهدًا للموت قبل أن ينزل به .

٤- النعي في عدم ركوب ناقة المقتول :

صورة من صور النعي أن المقتول لا تركب ناقته ، أو فرسه ؛ ليعرف أهله أنَّه قتل ، وقد جاء هذا المعنى عند (مالك بن الريب) ، يقول[2] : [الطويل]

فَـيَا صَـاحِبًا إِمَّـا عَرَضْـتَ فَبَلِّغَـا بَنِـي مَـازِنٍ وَالرَّبْـبِ أَنْ لاَ تَلاَقِيَـا
وَعَرِّ قَلُوصِي فِـي الرِّكَـابِ فَإِنَّهَـا سَـتَفْلِقُ أَكْبَـادًا وَتُبْكِـي بَوَاكِيَـا

ويقول (جعفر بن علبة الحارثي)[3] : [الطويل]

---

(١) ديوان اللصوص : ١٩٩/١. عارم ابنه . معجم البلدان : ١٩٥/٣ والقَوْدُ : نَقِيضُ السَّوْق ، يَقُودُ الدابَّة من أمامِها ويَسُوقُها من خلفِها . لسان العرب : (قود) ٣٧٠/٣ . ودلالة قودها أن صاحبها مقتول فلا يركبها أحد لإشعار أهله بذلك .

(٢) ذيل الأمالي والنوادر : ١٣٨/٣ ، وشعراء أمويون : ٤٧/١ ، وفيه (وعزّ) بدل (وعرّ) وهو تصحيف . وفي لسان العرب : (برد) ٨٢/٣ يقول : «قال مالِك بن الريب ، وكانت المنِيَّةُ قد حضرتهُ فوصَّى من يَمضِي لأَهله ويُخبرهم بموتِه ، وأَن تُعطَّلَ قَلُوصه في الرِّكاب فلا يركبَها أَحد لِيُعلم بذلك موتُ صاحِبها وذلك يَسُرُّ أَعداءه ويَحزنُ أَولياءه»

(٣) ديوان اللصوص : ١٩٩/١ .

إِذَا مَـا أَتَيْـتَ الحَارِثِيَـاتِ فَـائْعِنِي لَهُـنَّ وَخَبِّـرهُنَّ أَنْ لا تَلاَقِيَـا
وَقَوِّدْ قَلُوصِي فِـي الرِّكَـابِ فَإِنَّهَـا سَتُضْحِكُ مَسْرُوْرًا وَتُبْكِـي بَوَاكِيَـا

٥- صوت الحمام في الغربة

وظَّفَ ثلاثة من الشعراء الصعاليك في العصر الأموي صوت الحمام وهم في الغربة ؛ ليذكرهم بديارهم وأهلهم وقد استعمل كلٌّ واحد منهم ألفاظًا تناسبت ونوع غربته ، وهم مالك بن الريب والمَرَّار الفقعسي وجحدر العكلي :

وفيه يقول (مالك بن الريب)[1] : [الوافر]

تُـذَكِّرُنِي قِبَـابُ التُّـرْكِ أَهْلِـي وَمَبْـدَاهُمْ إِذَا نَزَلُـوا سَـنَامَا
وصَـوتُ حَمامَـةٍ بِجِبَـالِ كِـسٍّ دعَتْ مَعَ مَطْلَـعِ الصُّـبْحِ الحَمَامَـا
فَبِـتُّ لِصَـوْتِها أَرِقًـا وباتَـتْ بِمَنْطِقِهَـا تُرَاجِعُنِـي الكَلاَمَـا

إن (مالك بن الريب) يستعمل صوت الحمام في غربة عاشها استعمالا متوازنًا فهذا الصوت وإن كان سببب لمبيته أرقًا غير أنَّه داعٍ من دواعي الأُنس ، فهي بصوتها تدعو الحمام إلى الاجتماع مع مطلع الشمس فكأني به يراه فَأل خيرٍ لانتهاء غربته والتقائه بأهله ثم هي تراجعه الكلام بمنطقها ، فهو ينظر بأمل إلى صوتها .

و(المَرَّار الفقعسي) يقاسي طول الليل غريبًا في (دَيْرِ تَوْمَا) فيقول[2] [الوافر] :

تَصِـيْحُ إِذا هَجَعْـتُ بِـدَيْرِ تومَـا حَمَامَـاتٌ يَـزِدْنَ اللَّيْـلَ طُـوْلا

---

(١) شعراء أمويون : ١/٣٩-٤٠ . وسنام : قلعة بما وراء النهر أحدثها المقنّع الخارجي ، وإيّاها عنى مالك بن الرّيب . معجم البلدان : ٣/٢٦٠ . وكِسٌّ : بكسر أوله ، وتشديد ثانيه : مدينة تقارب سمرقند ، قال البلاذري : كس هي الصُّغد . معجم البلدان : ٤/٤٦٠ .

(٢) شعراء أمويون : ٢/٤٧٥ ، ديوان اللصوص : ٢/٢٥١ .

إِذَا مَا صِحْنَ قُلْتُ أُحِسُّ صُبْحًا وَقَدْ غَادرْنَ لِي لَيْلا ثَقِيلا

إن صوت الحمام هنا هو صياح في أذن الشاعر التأنه الطريد فهو مصدر لقلقه ولفظة صياح منتقاه من الشاعر لتعبر عن قلقه وتوتره ونومه الحذر ، فكلما نام أيقظه صياح الحمام فكان الليل طويل والليل لا يطول إلا على الخائف المترقب .

و(جحدر العكلي) ذكر ما يزيد همومه ويشوقه إلى دياره وأهله ، وهو غريب في سجن الحجاج لذا نراه يخص الحمام وصوته بالبكاء وهو تعبير أفصح عن حالة الشاعر ومأساته وهو قوله[1] :

أَلاَ قَدْ هَاجَنِي فَازْدَدْتُ شَوْقًا بُكَاءُ حَمَامَتَيْنِ تَجَاوَبَانِ

وَهَيَّجْنِي بِلَحْنٍ أَعْجَمِيٍّ عَلَى غُصْنَيْنِ مِنْ غَرَبٍ وَبَانِ

- التناص في المسميات

هناك من التناص في اللغة العربية وفي غيرها من اللغات ما يثبت أن لا غنى لمتكلم عنه فضلا عن أن يكون المتكلم شاعرًا يعالج تجارب وينقل آثارًا ، وهنا أقف عند التناص في الأسماء ، فهي يمكن أن تدرج تحته شأنها بذلك شأن كل نص يمكن أن يذكر بالتناص .

إن أسماء الأشخاص أو الجماعات تكون متوارثة ، ويمكن إدراج غالبها في التناص عن طريق اللاوعي ، فأسماء كثير من الناس تتشابه ، وقد يكون لبعضها تاريخ ، فهي معروفة النشأة ، فاسم «عبد الملك» أول من سمي به عبد الملك ابن مروان[2] ، فكل اسم يأتي بعده يأتي بالتناص معه .

وأكثر العنوانات تقصد ويكون التناص فيها بحضور الوعي ، وبعض هذه العنوانات تكون متناصة مع عنوانات مثلها : كإعراب القرآن ، ومعاني القرآن ،

---

(١) شعراء أمويون : ١/١٨٤ .

(٢) يُنظَر : الوافي بالوفيات : ١٩/١٣٩ .

فهناك أكثر من كتاب بهذين العنوانين تتناول الموضوع ذاته ، وقد كان الأصل لواحد من كل منهما والباقية تتناص معه .

ومن العنوانات ما يكون تناصًا مع آية من القرآن أو بعض آية لبعض العنوان : كما في (جنى الجنتين في تمييز نوعي المثنيين) للإمام (محمد ابن فضل الله المحبي)[1] . فهو تناص مع بعض آية من سورة الرحمن هي قوله تعالى : ﴿ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ (الرحمن:٥٤) .

وقد أخذ الأستاذ (زكي مبارك) عنوان كتابه «ليلى المريضة في العراق»[2] من شعر الصعاليك ، فهو تناص لقول طهمان بن عمرو الكلابي[3] : [الطويل]

وَتُبْنَــتُ لَيْلَــى بِــالعِرَاقِ مَرِيْضَــةً فَمَاذَا الَّذِي تُغْنِــي وَأَنْــتَ صَــدِيْقُ

* * *

(١) هو محمد أمين بن فضل الله بن محب الله بن محمد المحبي ، الحموي الدمشقي (١٠٦١-١١١١ هـ) ، من مصنفاته (خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، وجنى الجنتين في تمييز نوعي المثنيين) وغيرهما ، ولد في دمشق وسافر إلى مصر وولي القضاء في القاهرة ، وعاد إلى دمشق فتوفي فيها . (ينظر : الأعلام للزركلي : ٤١/٦) ، طبع في مطبعة الترقي في دمشق عام (١٢٤٨ هـ) ، وعنيت بنشره مكتبة القدسي والبدين ، وأعادت نشره دار الآفاق الجديدة بيروت لبنان في طبعته الأولى عام ١٩٨١م ، وهي معتمدة على نشرة القدسي بالكامل .

(٢) عنوان الكتاب : ليلى المريضة في العراق «تاريخ يفصل وقائع ليلى بين القاهرة وبغداد من سنة ١٩٢٦ إلى سنة ١٩٣٨ ويشرح جوانب من أسرار المجتمع وسرائر القلوب» طبع الكتاب في دار مصر للطباعة ، وأصل الكتاب مقالات نشرها صاحبها في مجلة الرسالة في بغداد سنة ١٩٣٨ ثم طبعت بكتاب سنة ١٩٣٩م بالعنوان نفسه .

(٣) شرح ديوان طهمان بن عمرو الكلابي : ١٠٢ .